العجالة الرحمية في شرح الرسالة الوضع

تأليف

ابن الحاج أحمد النظيف محمد رحمي الأكيني (١٣٢٥/١٩٠٩)

تحقيق

محمد صالح سوروجو

إستانبول، ٢٠١٧

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

[مقدّمة الشارح]

نحمدك يا مَنْ وَضع كلمة الحِكمة في أفئدة العلماء الأعلام، وأودع شجرة الشريعة في رياض علومهم مُخضَرَّةً إلى يوم القيام، ونصلّي على مَنْ بُعث لإتمام مَكارم الأخلاق رحمةً للأنام محمدٍ الداعي لعموم الخَلق إلى خصوص دين الإسلام، وعلى آله وأصحابه مصابيحِ النجاة للخواصِّ والعوامِّ المحرزين قَصَبَ السَّبْق في مِضْمار السعادة بالشِّيَم[400] الفِخَام[401].

أما بعدُ:

فيقول العبد الضعيف المحتاج إلى فَيْضِ ربِّه اللطيفِ **محمدٌ رَحْمِي اَلْأَكِينِي ابن الحاج أحمد النظيف** -أكرمهما الله تعالى بِنعم الجِنَانِ وَالوَصِيفِ[402]-: لَمَّا كانت العلوم العربية مِن أَجَلِّ علوم الإسلام -لاسيّما علم اللغة والاشتقاق ووضع الكلم والكلام- إذ بها تُدْرَك أوضاعُ ألفاظ القرآن المبين، وأحوال نَظْمه وأسلوبه البديعِ المتينِ، وكانت رسالةُ الوضعِ المعمولة في بيان أقسامه وأحكامه كافلةً لِمَا في فنِّه، وحافلةً لإيضاحه وإفهامه، وجامعةً لِغُرَرِ الضوابط وعَرَائِسِ القواعد، وحاويةً على ما عليه المتأخِّرون من نفائس الموائد المنسوبة إلى مولانا علامةِ العلماءِ المتبحّرين في التحرير، وسيّدِ الفضلاء المتأخّرين في الإفادة والتقرير، حَلّالِ المشكلات بِعَذْب البيان والمنطق الفصيح، كاشفِ المعْضِلات بِفكره الصائبِ الصحيحِ، المتشرِّفِ بِرتبة القاضِي العسكريّ، المستشارِ لِمَقام المشِيخةِ العَلِيَّة، الممتازِ مِن بين أقرانِه بِمزايا جليّةٍ إلى أن صَارَ مَرْجِعا للرجال العِلمِيَّة، أعني به المولَى الهُمَامَ أعلى[403] المقام السيّدَ **إبراهيمَ حقّي ابن خليل الأَكِينِي**، سلّمه وأنال ما تمنَّاه في الدارين المِلِكُ

---

[400] جمع شِيمَةٍ وهي: خُلُقٌ. انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر- محمد النجار، دار الدعوة، مجمع اللغة العربية، ج ١، ص ٥٠٤.

[401] جمع فَخْمٍ: عَظِيمُ القَدْرِ. انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الزَّبيدي (المتوفى: ١٧٩١/١٢٠٥)، دار الهداية، باب "فدم"، ج ٣٣، ص ٢٠٠.

[402] الوصيف: الخادم، غلاما كان أو جارية والمراد الحور والغلمان (منه).

[403] وصفه بصيغة اسم التفضيل مبالغة في إظهار علوّ مقامه.

الفَيّاضُ الغَنِيُّ، وأطال عمرَه وعَصَمَه من مكائد الحُسّاد والفتن، وجعل جميع أمره خيرا، وعُقْباه مِن أُولاه أحسن، ولكن تلك الرسالة لم يَكتب لها إلى الآن أحدٌ مِن ذوي العرفان شرحًا يُزيل عن وجوه خَرَائِدها أستارَ الكِتْمان؛ أردتُ أن أشرحها نفْعا للإخوان، وطلبا لجزيل العطايا من المولى المنّان ﷻ، وإني؛ وإنْ كنتُ قليلَ البضاعة، وعديمَ الاستطاعة في هذا الشأن، ولم أكن من فرسان مَيدان هذه الصناعة بالعيان، إلا أني امتثلتُ بقول الملك الأجلِّ ﷻ: ﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾[404]، وتمثّلتُ بما قاله بعض الكُمَّل:

... وَعَنِ البَحْرِ اِجْتِزَاءً بِالوَشْلِ[405]

فشرعتُ في جمع ما هو كالشرح لها في إزالة صعابها، ويسهّل طريقَ الوصول إلى فهمها بكشف حجابها متشبّثا بأذيال العناية وعُروة التوفيق ممن بيده أزمَّةُ الأمور وعِنان التحقيق. ثم لما تيسَّر الإتمامُ بعون ذي الكرم والإنعام ﷻ سمّيتُه بـ"*الْعُجَالَةِ الرَّحْمِيّةِ فِي شَرْحِ الرِّسَالَةِ الْوَضْعِيَّةِ*"، وجعلتُه تُحْفةً لجَناب مَنْ هو حَسَن السيرة، أسنى المقام، أهلُ الدقائق والمعارف، وصاحب الجود والاحترام، مرجِع أمور الفتوى والأحكام، ملجأ العلماء والحكّام؛ أعني به شيخ الإسلام والدين **محمد جمال الدين**[406] -عصمه الله تعالى عن كل ما يشِينُ، وسلّمه عن آفات الكونين- فإنْ تلقّاه بالقبول الأتمّ فَشِنْشِنَةٌ أعرفها مِنْ أَخْزَمَ[407]، وإن لاحظه بعين العناية والكرم فَشَعْشَعَةً من شُعَاع النَّيِّرِ الأعظم. وقد

---

[404] سورة البقرة: ٢/٢٦٥.

[405] الوَشَل بفتحتين: الماء القليل الذي يترشّح من نحو الجبل، أي: اكتفاء بالماء القليل (منه).

تمامه:

مُلكُ كسرى عنهُ تُغني كِسرة وعن البحر اجتزاءٌ بالوَشَل

انظر: *الكشكول*، محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني، بهاء الدين، (المتوفى: ١٠٣١/١٦٢٢)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣، ج ٢، ص٣٢. الشعر لعمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي (المتوفى: ٧٤٩/١٣٤٩). انظر: *الأعلام*، خير الدين الزركلي (المتوفى: ١٣٩٦/١٩٧٦)، دار العلم للملايين، بيروت،٢٠٠٢، ج ٥، ص٦٧.

[406] خالد أفندي زاده محمد جمال الدين أفندي، شيخ الإسلام، (المتوفى: ١٣٣٧/١٩١٧). أسندت إليه مشيخة الإسلام في زمان السلطان عبد الحميد خان الثاني في فترة بين ١٨٩١–١٩٠٩. انظر: جمال *الدين أفندي تذكراتي السياسية*، إعداد: سليم كوتسان، مكتبة ثمير، إسطنبول، ١٩٩٠.

[407] في النسخة المطبوعة: أحزم. قال ابن الكلبي: هو جدّ حاتم طيّئ وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن أخزم. والشنشنة: الطبيعة والخليقة، أي: خليقة أعرفها من أخزم. انظر: *جمهرة اللغة*، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١/٩٣٣)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧، باب "ش ن ش ن"، ج ١، ص ٢٠٧.

صادف الختام والفراغ عن هذا المرام زمن خلافة مَن هو قامع البِدْعة بين أهل الإسلام، ومُحي سنّة رسول ربّ الأنام، ملجأ المظلومين والغرباء، ومَلاذ المستغيثين من الضعفاء، حامي العلماء والطلباء، خادم الشريعة الغرّاء، نور حديقة السلطنة العظمى، ونور حَدَقَة الخلافة الكبرى بحر الجود والكرم، فخْر جميع الأمم. شعر:

لَازَالَ بَابُكَ مَثْوَى ٱلعَدْلِ وَالشَّرَفِ مَأْوَى العُلَى وَالمنَى وَمَجْمَعَ الدُّوَلِ

وَمَتَّعَ اللهُ نَسْلًا أَنْتَ وَالِدُهُ بِالعُمْرِ وَالملكِ مَحْفُوظًا عَنِ الخَلَلِ

ألا وهو السلطان الأعظم والخَاقَان الأفخم مولى ملوك العرب والعجم -ظلّ الله في العالَم- السُلطان ابن السلطان، السلطان **عبد الحميد خان ابن السلطان عبد المجيد خان**، أيّد الله خَيمة سلطنتِهِ مُشَعْشَعَةَ الأركان ما دام الفَرْقَدَانُ[408]، اللّهم اجعل أعلام الفضل أيّام دولتِهِ عاليَةً، وقَيمَةَ آثار أرباب العلوم والمعارف في عصر خلافتِهِ العِلِيَّةِ غاليةً. آمين.

وها نحن نشْرع في شرح الرسالة بعون من الله والهداية.

[408] الفَرْقَدَانِ نَجْمَانِ في السَّمَاءِ لا يَغْرُبانِ ولكنهما يَطُوفانِ بالجَدْيِ. وقيل: هما كَوكبانِ قَرِيبانِ من القُطْب. وقيل: هما كَوْكَبَانِ في بنات نَعْشٍ الصُّغْرَى. انظر: *تاج العروس*، باب "فرقد"، ج ٨، ص ٤٩١.

[مقدمة المصنف]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

أقول: بحث البسملة مشهور وفي الكتب مذكور، فليس لنا في تركه ههنا قصور. فقد قال – سلّمه الله– بعدما تيمّن بالبسملة الشّريفة: **(نَحْمَدُكَ يَا مَنْ خَصَّ العَالِمِينَ بِمَعرِفَةِ أَوضَاعِ الكَلِمَةِ وَالْكَلامِ)** عدل عن أسلوب الكتّاب، وآثَرَ طريقة الخطاب رعايةً لصَنعة الاستغراب، وتَطرِئَةً لقلوب أولي الألباب، وإشارةً إلى أنّه قَوِيَ للحامد محرِّكُ الإقبال، وداعي التوجّه إلى جَنابه على الكمال حتى خاطَبَ مُشعِرا بأنّه تعالى كأنّه مُشاهَدٌ له في حالة الحمد مراعاةً لمرتبة الإحسان، وهو: "أنْ تعبد الله كأنّك تراه"[409]. واختارَ الجملةَ الفعليّةَ المضارعيّةَ على الإسميّة والماضَويّة قصدا لإفادة التجدّد على سبيل الاستمرار.

وكلمةُ «يا» من حروف "النداء" موضوعةٌ للبعيد من المنادَى حقيقةً أو حُكمًا كما ههنا، فإنّ المنادَى –وهو الله تعالى–، وإن كان أقربَ إلى العبيد من حبل الوريد[410]، لكن الحامد لنقصانه جعل نفسَه في عِدَادِ مَن لا يستأْهل القرب، وعدّها في كمال البُعد عن ساحة الحضور، فأتى بكلمة نداء البعيد، ففيه هَضمٌ لنفسه، واستبعاد لها عن مظانّ الزُّلفى، كما قيل:

العَبْدُ عَبْدٌ وَإِنْ تَسَامَى وَالمَوْلَى مَوْلًى وَإِنْ تَنَزَّلَ[411]

و**عن البعض**: وقد ينادَى القريبُ بما ينادَى البعيدُ حرصا من المنادي على إقبال المدعوِّ عليه هذا. وكلمة «يا» أكثر حروف "النداء" استعمالا لكونها أصلَ الباب؛ فلهذا لا يُقدَّر عند الحذف

---

[409] البخاري، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، الجزء ١/١٩، ٥٠.

[410] حبل الوريد: عِرق في العنق متصل بالوتين، يضرب به المثل في القرب. كناية عن قرب الشديد. انظر: *معجم اللغة العربية المعاصرة*، أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤/٢٠٠٣)، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨، باب "ورد"، ج ٣، ص ٢٤٢٤. كما سبق في التنزيل: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (سورة ق: ١٦/٥٠).

[411] *المواهب اللّدنيّة على الشمائل المحمدية*، إبراهيم بن محمد الباجوري (المتوفى: ١٢٧٦/١٨٥٩)، دار اليسر–دار المنهاج، لبنان، ٢٠٠١، ص ١١.

سواها نحو: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾[412]، ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾[413]، ولا ينادَى اسمُ «الله» عزّ وجلّ إلّا بها.

ولفظةُ «مَنْ» منادًى، وهو اسم موصول، والغالب استعمالها في العالِم عكس "ما"، وذلك لأنّ "ما" أكثر وقوعا في الكلام منها، وما لا يَعقِل أكثر ممن يَعقِل، فأعطى ما كثُرت مواضعه للكثير وما قلّت للقليل للمُشاكَلَةِ، والمرَاد بـ«مَنْ» هو الله تعالى، وإنما أبهَمه ولم يَذكر اسمه للتعظيم وللتنبيه على أنّ مَن اتّصف بهذه الصفة لم يكن غيره تعالى، فهو متعيّن، وفي شرح *العُنْقُودِ*: كلمة «مَنْ» لذوي العلوم مطلقا، وليست مختصّة بذوي العقول، فلا يَرِد أنّه لا يُطلَق في حقّه تعالى عقْلٌ ولا عاقلٌ، فلا يصحّ استعمال «مَنْ» فيه،[414] انتهى. وفي التنزيل: ﴿مَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾[415]. ولما كانت الأسماء الظاهرة كلها[416] غيبا، قال: «يَا مَنْ خصّ» بصيغة الغيبة دون الخطاب، لكن بمراعاة جانب النداء الموضوع للمخاطب يسوغ الخطاب نظرا إلى المعنى؛ فلذا عبّر في خطبة *ردّ المختار* بالخطاب، وفي *المُطَوَّلِ*[417] أن قوله: "أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حيدره، قبيحٌ عند النحاة"[418]، اِنْتَهَى. أي: إلّا أن يلتفت إلى الالتفات، فتدبّر.

وقوله: «خصَّ العَالِمِينَ»، أي: ميّزهم بها عن الغير حتى الملائكة الكرام في بادئ الأمر كما ينطق به قصّة آدم عليه السلام معهم[419]، فالباء في «بِمَعْرِفَةٍ» داخلة على المقصور على طريقة قول

---

412 سورة الأعراف. ١٥١/٧.

413 سورة يوسف: ٢٩/١٢.

414 *شرح عنقود الزواهر*، عبد الرحيم بن يوسف المنشوي المعروف بمفتي زاده (المتوفى: ١٨٣٦/١٢٥٢)، ص ٥.

415 سورة طه: ٢٠ /٤٩.

416 أي: موصولة أو غيرها (منه).

417 *المطول شرح تلخيص المفتاح*، مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين التفتازاني (المتوفى: ١٣٩٠/٧٩٣)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٣.

418 *رد المختار على در المختار*، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي (المتوفى: ١٨٣٦/١٢٥٢)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢، ص ١٠.

419 سورة البقرة: ٣٠/٢–٣٣.

الكافية[420]، واختصّ المندوب بـ"واو"، هذا هو الاستعمال العربيّ، ولو قيل: خصّ معرفة الأوضاع بالعالمين؛ لكان استعمالا عرفيّا، كذا في *حواشي الكشاف* **للسعد**، وقال **السيد الشريف** في *حاشية المطول*: "تخصيص شيء بآخر في قوّة تمييز الآخر به: فإمّا أن يجعل التخصيص مجازا عن التمييز، مشهورا في العرف حتى صار كأنه حقيقة فيه، وإمّا أن يجعل من باب التضمين بشهادة المعنى؛ فيُلاحظ المعنيان"[421]، ثمّ إنّ في ذكر التخصيص إشارةً إلى كون المحمود عليه أمرا اختياريّا صادرا عنه تعالى بالاختيار، فعليك بالاستبصار.

و«العَالِمِينَ» بكسر اللام جمع "عالَم"، اسم فاعل، أي: أهل العلم، فـ«اللام» للاستغراق كما هو الظاهر من دخولها على صيغة الجمع الدالّة على الأفراد أو الراسخين في العلم كما هو الملائم للفقرة الآتية على تقدير أن يُراد بالأسرار فيها المتشابهات كما سيأتي، فاللام للعهد، فاعرفه.

ثمّ المراد بـ «مَعرِفَةِ الْأَوضَاعِ» هو المعرفة التفصيليّة؛ لا الإجماليّة، وإلّا يكون التخصيص إضافيّا كما لا يخفى. ولما كانت المعرفة قد خُصّت بالعِلم الحادث وإدراك الجزئيّ بخلاف العِلم، وكانت «مَعْرِفَةُ الْأَوْضَاعِ» حادثة للعَالِمِين، وكان أيضا العِلم بأن كلّ لفظ بعينه موضوع لمعنى كذا عِلما جزئيّا أُستعمل هنا لفظ المعرفة دون العِلم، وحاصل المعنى: "نحن معاشر العلماء نَصِفُك بالجميل الذي أنت أهله يا مَن ميّز العلماء بمعرفة أنّ أيّ لفظٍ موضوع لأيّ معنى"، ولم يخلَق ابتداءً هذه المعرفة في الغير ممن خلق، فهذه مِنّة عظيمة، وكرامةٌ فخيمةٌ يجب أن يُحمَد عليها، فلِلّه دَرُّ **المُصَنِّفِ**[422].

---

[420] *الكافية في علم النحو*، ابن الحاجب جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري الإسنوي المالكي (المتوفى: ٦٤٦/١٢٤٩)، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠، ص ٢١.

[421] *الحاشية على المطول*، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦/١٤١٣)، القراءة والتعليق: رشيد أعرضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧، ص ١٣٩–١٤٠.

[422] لله درّه: إذا دعوا له، أو تعجّبوا من بلوغه الغاية في شيءٍ ما. انظر: *اللمحة في شرح الملحة*، محمد بن حسن بن سِباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله، شمس الدين، المعروف بابن الصائغ (المتوفى: ٧٢٠/١٣٢٠)، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، ج ١، ص ٢٧٩.

و«الكَلِمَةُ» إشارة إلى «الوضع الشخصيّ»؛ و«الكَلَامُ» إلى النوعيّ، فيكون المراد به معناه الاصطلاحي، فلا يخفى ما في هذه الفقرة من براعة الاستهلال، وهو كون الفاتحة موافقة للمقصود، وقد اعتنى بها المتأخّرون، وهي من المحسّنات البديعية.

(وَجَعَلَهُمْ مُمْتَازًا بِإِدْرَاكِ أَسْرَارِ أَفْصَحِ الْكَلَامِ) هكذا في النسخ، والصواب "ممتازين"[423]، اللهمّ إلّا أن يُقال إنه من قبيل قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾[424]، فافهم. وهذا من عطف اللازم أو المسبّب أي: وجعلهم بتلك المعرفة ممتازين بين الأنام بالوقوف على أسرار أفصح الكلام، وهو القرآن المنزّل على سيّد الأنبياء العظام.

[تعريف الفصاحة]

[لغة]: واعلم أنّ الفصاحة في اللغة: الظهور والإبانة[425]. يقال: "فصح الأعجميّ" إذا انطلق لسانه وخلصت لغته من اللكنة، ومنه قوله: ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾[426]، أي: أبْين منّي قولا.

[اصطلاحا]: وفي الاصطلاح تختلف باختلاف موصوفها، وموصوفُها الكلمة والكلام والمتكلّم، يقال: "كلمة فصيحة، وكلام فصيح، ومتكلّم فصيح".

[البلاغة]

والبلاغة يوصف بها المتكلّمُ والكلام فقط، فلا يُقال: كلمة بليغة[427].

---

[423] وعن المصنف –سلمه الله–: إنّ الجعل ههنا تصييري لا إبداعي، والجعل التصييري من قبيل الأفعال الناقصة والمطابقة بين اسمها وخبرها مختلف فيه بين النحاة. وعلى تسليم لزوم المطابقة فإيراد «ممتازا» مفردا مبني على كون بناء الجموع –سواء كان ظاهرا أو ضميرا– موضوعا للكل الإفرادي؛ لا المجموعي، مع أنّ في الإتيان بصيغة الإفراد إشارة إلى أن العلماء الممتازين جميعهم ممتازون بامتياز واحد وهو إدراك أسرار أفصح الكلام؛ لا أن كلّ واحد منهم ممتاز بامتياز على حدة، والله أعلم. (منه).

[424] سورة المزمل: ١٨/٧٣.

[425] *التعريفات*، الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣، ص ٢١٤.

[426] القصص: ٣٤/٢٨.

[427] *الإيضاح في علوم البلاغة*، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني (المتوفى: ١٣٣٨/٧٣٩)، دار الجيل، بيروت، ٢٠١٠، ج ١، ص ٧.

وللبلاغة طرفان[428]:

أ- **أعلى**: وهو حدّ الإعجاز، وهو منصب كلام الله تعالى المعجِز وما يقرُب منه، وهو كلام نبيه -عليه السلام- لقوله: " أُوتيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ"[429].

ب- **وأسفل**: وهو ما لو غير الكلام عنه إلى ما دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات[430] في الخلوّ عن الحسن.

وبين الطرفين مراتب كثيرة متفاوتة بعضها أعلى من بعض بحسب تفاوت المقامات[431] كما قيل:

در بيان ودر فصاحت كى بود يكسان سخن گرچه گوينده بود چون جاحظ و چون اصمعي

در كلام ايزد بيچون كه وحي منزلست كى بود ﴿تَبَّتْ يَدَا﴾[432]اچون ﴿قِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي﴾[433]

فإن قيل: لِمَ لَمْ يأت القرآن جميعه بالأفصح؟ قلنا: لو جاء كلّه على ذلك؛ لكان على غير النمط المعتاد في كلام العرب من الجمع بين الأفصح والفصيح، فلا تتمّ المحاجّة بالإعجاز؛ لأنهم حينئذ يقولون: "أتيتَ يا محمّد بما لا قدرة لنا على جنسه"، كذا في *الإتقان* **للسيوطي**[434]. و«الأسرار» جمع "سرّ"، وهو المعنى الخفيّ، أي: الأمر المعتبَر في البلاغة، وما اندرج في القرآن من اللطائف والنكت، ثم المراد بـ «أسرار أفصح الكلام» يحتمل وجوها لدى الأفهام:

---

428 *الإيضاح*، ج ١، ص ٤٦.

429 مسلم، المساجد، ٥.

430 *الإيضاح*، ج ١، ص ٤٧.

431 *الإيضاح*، ج ١، ص ٤٧.

432 تبت: ١/١١١.

433 هود: ١١/٤٤. انظر: *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم*، شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي (المتوفى: ١٢٧٠/١٨٥٤)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥، ج ٦، ص ٢٦١.

434 *الإتقان في علوم القرآن*، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١/١٥٠٥)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤، ج ٤، ص ٢١.

الأول: إنها معاني كلمات القرآن؛ فإن «العالِمين المختصّين بمعرفة الأوضاع» مطالع أنوار العلوم، بها يشاهدون خبايا القرآن وخفاياه من النكات والمزايا، وإن كانت العقول تقف دون آخرها، لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ البَحْرِ فِي مَدَدٍ[435]، كيف وجميع العلوم مستنبطة من القرآن: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[436]، وقد أخرج **البيهقيّ** عن **الحسن** أنه قال: "أنزل الله مئة وأربعة كتب أودع علومها في أربعة، منها: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم الثلاثة في القرآن"[437]، فما من شيء إلّا ويمكن استخراجه منه لمن فهّمه الله تعالى، حتى استنبط بعضهم مدّة حياة النبيّ -عليه السلام- ثلاثا وستّين من قوله في سورة المنافقين: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾[438]، فإنها رأس ثلاث وستّين سورة، وعقْبها بالتغابن ليظهر التغابن في فقده، شعر:

جَمِيعُ العِلمِ فِي القُرْآنِ لكِنْ تَقَاصَرَ عَنهُ أَفْهَامُ الرِّجَالِ[439]

وبالجملة: إنّ القرآن جمع علوم الأوّلين والآخرين فلم يحط به علما حقيقة إلا المتكلّم بها، ثمّ رسول الله خلا ما استأثر به سبحانه ثم ورث عنه معظم ذلك ساداتُ الصحابة، ثمّ ورث عنهم التابعون بإحسان، ثم تقاصرت الهمم، وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علوم القرآن وفنونه، وقامت كلّ طائفة بفنّ منها، فاعتنى قوم بضبط لغاته ومعرفة مخارج حروفه إلى غير ذلك، فسمّوا القرّاء، واعتنى **النحاة** بالمعرَب منه والمبنيّ من الأسماء والأفعال والحروف العاملة وغيرها، واعتنى **المفسّرون** بألفاظه وخاضوا في ترجيح أحد محتملاته، واعتنى **الأصوليّون** بما فيه من الأدلّة العقليّة والشواهد الأصليّة والنظريّة، واستنبطوا منه أدلّة وحدانيّته تعالى ووجوده وبقائه وقدمه وقدرته وعلمه وتنزيهه عما لا يليق،

---

435 تمامه:

لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ البَحْرِ فِي مَدَدٍ وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الحُسْنِ وَالقِيَمِ

انظر: *ديوان البوصيري*، شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الجنوبي الصنهاني (المتوفى: ٦٩٦/؟)، بدون مكان الطبع، بدون التاريخ، ص ٢٤٦.

436 سورة الأنعام: ٥٩/٦.

437 *الإتقان*، ج ٤، ص ٢٨؛ *الدر المنثور*، السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣، ج ١، ص ١٦؛ *الإكليل في استنباط التنزيل*، السيوطي، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١، ص ١١.

438 سورة المنافقون: ١١/٦٣.

439 *الكافي شرح البزدوي*، الحسين بن علي بن حجاج بن علي، حسام الدين السِّغْنَاقي (المتوفى: ١٣١١/٧١١)، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠١، ج ١، ص ٢٠٢.

وسمّوه بـ "أصول الدين"، وتأمّلت طائفة منهم معاني خطابه فاستنبطوا منه أحكام اللغات من الحقيقة والمجاز، وتكلّموا في النصّ والظاهر والمجمل والمتشابه إلى غير ذلك، وسمّوه "أصول الفقه"، ونظر الكُتّاب والشعراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم وحسن السياق والإطناب والإيجاز وغير ذلك، فاستنبطوا منه "**المعاني**" و"**البيان**" و"**البديع**" وهكذا، فهذه هي الفنون التي أخذتها الملّة الإسلاميّة منه، مع احتوائه على علوم شتّى مثل "**الطب**" و"**الجدل**" و"**الهيئة**" و"**الهندسة**" و"**النجامة**" وغيرها.

الوجه الثاني: إنها، أي: «الأسرار» وجوه إعجاز القرآن، فاعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدّي سالم عن المعارضة، وهي إمّا حسيّة أو عقليّة، وأكثر معجزة بني إسرائيل كانت حسيّة؛ كناقة صالح وعصا موسى –عليهما السلام– لبلادتهم وقلّة بصيرتهم، وأكثر معجزات هذه الأمّة عقلية؛ لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم؛ كمعجزة القرآن المستمرّة إلى آخر الزمان، المشاهَد[440] بالبصيرة في كلّ آن، المدرَك وجوه إعجازه بنور علوم أهل العرفان، فقد اختلفوا في وجه إعجاز القرآن الكريم، فقيل: "خرقه العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره عن المغيّبات المستقبلة أو ما تضمّنه من الإخبار عن قصص الأوّلين حكاية مَن شاهدها"، وقيل: "ما تضمّنه من الإخبار عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم أصلا"، وقال **القاضي أبو بكر**: "وجه إعجازه ما فيه من النظم والتأليف، فإنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب وأساليب الخطاب"[441]؛ ولهذا لم يمكنهم معارضته[442] مع كونهم أفصح الفصحاء ومصاقع[443] البلغاء والخطباء في مدّة طويلة، وقد كانوا أحرص شيء على إطفاء نوره وإخفاء أمره، والنبيّ –عليه السلام– ينادي عليهم بإعجاز القرآن: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[444]. ومن وجوه الإعجاز الروعة

---

[440] أي: القرآن.

[441] في النسخة المطبوعة: الخطب. انظر: *إعجاز القرآن*، القاضي أبو بكر الباقلاني (المتوفى: ٤٠٣/١٠١٣) ، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ١٩٩٧، ص ٥٠.

[442] *الإتقان*، ج ٤، ص ٩.

[443] أي: البليغ، قال ابن الأعرابي: الصقع: البلاغة في الكلام والوقوع على المعاني. انظر: *تاج العروس*، باب "صقع"، ج ٢١، ص ٣٤٣.

[444] سورة الإسراء: ٨٨/١٧.

التي له في قلوب السامعين عند سماعهم، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته مع كونه غضّا[445] طَرِيّا في أسماع السامعين ألسنة القارئين في كلّ حين.

والحاصل: أنّ ما ذكروه من وجوه إعجازه لم يبلغ إلى واحد من عشر معشاره، ولا يُدرَك ذلك إلّا بالإتقان والتمرّن في علمي **المعاني والبيان**.

الوجه الثالث: إنها، أي: «الأسرار» المتشابهات القرآنيّة على أن يراد بالعالِمين في المتن «الراسخون»[446] في العلم: الواقفون على معاني المتشابهات، وهو رأي المتأخّرين، فاعلم أنهم اختلفوا في أنّ المتشابه هل هو مما يمكن الاطّلاع على معناه أو لايعلمه إلا الله تعالى، ومنشأ هذا هو الاختلاف في قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[447] أَنَّهُ هل "الواو" فيه للعطف أو للاستيناف؟ فذهب قوم إلى الأوّل، فلا وقف عندهم على إلّا الله، يعني أن تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع علمهم ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾[448]، وهذا قول[449] **مجاهد**[450]**والربيع**[451]. فيكون جملة "يقولون" حالا، أي: قائلين ذلك، وعن **ابن عباس**[452] أنه كان يقول في هذه الآية: "أنا من الراسخين في العلم"[453]، وقال مجاهد: "أنا ممّن يعلم تأويله"[454]، واختاره **النووي** فقال: "أنه الأصحّ؛ لأنه يبعد أن يخاطب تعالى عباده بما لاسبيل لأحد من الخلق إلى معرفته"[455] وهو الظاهر. وذهب الأكثرون من

---

445 عطف تفسيري للغضّ. (منه).

446 كما أشرنا إليه سابقا (منه).

447 سورة آل عمران: ٣/٧.

448 سورة آل عمران: ٣/٧.

449 *تفسير البغوي*، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ١١١٧/٥١٠)، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٧، ج ٢، ص ١٠.

450 مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكيّ، مولى بني مخزوم: تابعيّ، مفسر من أهل مكة (المتوفى: ٧٢٢/١٠٤). انظر: *الأعلام*، الزركلي، ج ٥، ص ٢٧٨.

451 الربيع بن أنس ابن زياد البكري، الخراساني، المروزي، الحنفي البصري، الخراساني. روى عن أنس بن مالك وأبي العالية والحسن البصري وصفوان بن محرز (المتوفى: قبل ٧٥٧/١٤٠). انظر: *الطبقات الكبرى*، ابن سعد (المتوفى: ٨٤٥/٢٣٠)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠، ج ٧، ص ٣٦٩-٣٧٠.

452 عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس، (المتوفى: ٦٨٧/٦٨). انظر: *الأعلام*، الزركلي، ج ٤، ص ٩٥.

453 *تفسير البغوي*، الجزء ٢، ص ١٠.

454 *تفسير البغوي*، الجزء ٢، ص ١٠.

455 *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ١٢٧٧/٦٧٦)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٢، ج ١٦، ص ٢١٨.

الصحابة[456] والتابعين ومَن بعدهم إلى الثاني، فقوله: «وَالرَّاسِخونَ» مبتدأ والجملة إستيناف، وهو أصحّ الروايات عن **ابن عباس**. فيقفون على "إلا الله" ويبدؤون بما بعده، فعندهم لا يعلم تأويل المتشابه إلّا الله تعالى، فإن قلت: فما الفائدة في إنزال المتشابهات؟ قلنا: أن يتفحّص وينظر فيها العلماء ويظهر فضلهم ويزداد حرصهم على أن يجتهدوا في تدبّرها وتحصيل العلوم المتوّقف عليها لإستنباط المراد بها فينالوا بإتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات.

(وَنُصَلِّي وَنُسَلِّمُ عَلَى صَاحِبِ لِوَاءِ الشَّفَاعَةِ يَوْمَ الْقِيَامِ) جمع بين الصلاة والسلام امتثالا[457] بقول الملك العلام : ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[458]، وخروجا من خلاف مَن كره إفراد أحدهما عن الآخر وإن كان عندنا لا يكره، وهذا في حقّ نبيّنا –عليه السلام–، وأمّا في غيره من الأنبياء، فلا خلاف فيه. وفي قوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾[459] أسوة حسنة، و«الصلوة» اسم مصدر بمعنى التصلية وهو القياس؛ لكن تركه أهل اللغة؛ لأن اعتنائهم بالمصادر السماعيّة وقد ورد التصلية فيما أنشده **ثعلب**[460]:

تَرَكْتُ الْقِيَانَ وَعَزْفَ الْقِيَانِ وَأَدْمَنْتُ تَصْلِيَةً وَابْتِهَالاَ[461]

والقيان جمع "قينة" وهي الأَمَةُ، وعزفها أصواتها، والتصلية من الصلاة بمعنى "نماز كردن" و"درود آوردن" والابتهال التضرّع والدعاء، فما قيل: أنّ التصلية لم يُسمَع فمردود، ثم الجمهور على أنّ الصلاة حقيقة لغويّة في الدعاء مجاز في العبادة المخصوصة، وقيل: هي موضوعة للاعتناء، فيتحقّق منه تعالى

---

[456] منهم: أُبَي بن كعب وعائشة رضي الله عنهما (منه).

[457] في النسخة المطبوعة: إمثالا.

[458] سورة الأحزاب: ٥٦/٣٣.

[459] سورة صافات: ١٨١/٣٧.

[460] أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيبانيّ بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب: إمام الكوفيين في النحو واللغة، (المتوفى: ٢٩١/٩١٤). انظر: *الأعلام*، الزركلي، ج ١، ص ٢٦٧.

[461] هذا الشعر أسند إلى ثعلب في *حاشية الشهاب على تفسير بيضاوي*. انظر: *حاشية الشهاب على تفسير بيضاوي*، الشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (المتوفى: ١٠٦٩/١٦٥٩)، دار صادر، بيروت، ٢٠١٠، ج ١، ص ٢٢٤؛ وفي مجالس ثعلب أسند الشعر إلى عبد العزسز بن الأزور الأسدي الصحابي:

تَرَكْتُ القِدَاحَ وَعَزْفَ القِيَانِ وَالخَمْرَ تَصْلِيَةً وَابْتِهَالًا

انظر: *حاشية الشهاب*، ص ٨٤.

بالرحمة ومن غيره بالدعاء، فهي من قبيل المشترك المعنويّ وهو أرجح من المشترك اللفظيّ، أو هي مجاز في الإعتناء المذكور، فسقط الاستدلال بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتِهِ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾[462] على جواز الجمع بين معنيَيِ المشترك اللفظيّ هذا، و«السلام» أيضا اسم مصدر من التسليم ومعناه: السلامة من كلّ مكروه وآفة، ومنه دار السلام للجنّة لكونها خالية عن الأكدار والآلام، وكلمة[463] «على» متعلّقة بالفعلين، ولما أنّ في لفظ «الصلوة» من معنى العطف عُدِّيَت بـ«على» للمنفعة، وإن كان المتعدّى بها للمضرّة بناءً على أن المترادفين لا بدّ من جريان أحدهما مجرى الآخر، فاعرفه. و«اللواء» بالكسر والمدّ بمعنى "الراية" و"العَلَم" جمعُه "الألوية"، و«الشفاعة» طلب العفو من الغير إلى الغير، والمراد بـ«صاحب اللواء» سيّدنا محمّد -عليه السلام-، ففي الإبهام أوّلا ثمّ التصريح باسمه ثانيا تقرير وتثبيت في الأذهان وتفخيم لا يخفى على أهل الأذهان، وفي التعبير بـ«الصاحب» دون الحامل رمز إلى أنه -عليه السلام- بمزايا انفردت بها عن الغير مالك ذلك اللواء ومستحقّه لا أنه حامله بطريق النيابة والعارية، وأراد بـ«لواء الشفاعة» لواءً يشفع الرسول -عليه السلام- تحته للأنام وهو لواء الحمد، فالإضافة لأدنى ملابسة كـ"كوكب الخرقاء" في قول الشاعر:

إِذَا كَوْكَبُ الخَرْقَاءِ لَاحَ[464] بِسُحَرَةٍ سُهَيْلٌ، أَذَاعتْ[465] غَزْلَهَا فِي الْقَرَائِبِ[466]

و«يوم القيام» ظرف لـ«الشفاعة» أو قيد لـ«الصاحب»، أي: الشفاعة الكائنة يوم قيام الناس من قبورهم فهو حشر الأجساد وبعث العباد ويوم التَّنَادِ[467]، والمراد بالشفاعة الشفاعة العامّة لأهل

---

[462] سورة الأحزاب: ٥٦/٣٣ .

[463] في النسخة المطبوعة: كلة.

[464] وفي النسخة المطبوعة: لاحت.

[465] وفي النسخة المطبوعة: أزاغت.

[466] شرح *المفصل للزمخشري*، أبو البقاء ابن يعيش (المتوفى: ٧٧٧/١٦٠(؟))، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١، ج ٢، ص ١٦٣.

[467] أي: يوم القيامة انظر: *تاج العروس*، باب "ندد"، ج ٩، ص ٢١٨.

المحشر والعرصات الخاصّة بسيّد الكائنات، وهي الموعودة بقوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾[468].

(مُحَمَّدٍ الْمَنُوطِ بِرِسَالَتِهِ وَضْعُ قَوَانِينَ الشَّرْعِ وَالْإِسْلامِ). بدل أو عطف بيان من «صاحب اللواء» جيء به للإيضاح، و«محمّد» علم لأفضل الرسل الكرام وهو **ابن عبد الله بن عبدالمطّلب بن هاشم بن عبد مناف**، وهذا أشهر أسمائه الشريفة؛ ولذا تكرّر في القرآن نحو: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾[469] و**محمّد** رسول الله؛ ولذا أيضا خصّ في التشهد وغيره وما أحسن قول **الحسّان**[470] رضي الله عنه:

فَضَمَّ الإِلهُ اِسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ ... إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذِّنُ أَشْهَدُ

وَشَقَّ لَهُ مِنِ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ ... فَذُو[471] الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ[472]

و«المنوط» صفة «محمّد» مِن "ناط الشيء نَوطا" إذا علّقه، وبابه "قال"، أي: المربوط والمعلَّق برسالته وبعثته تأسيس قواعد الشرع ووضع ضوابط دين الإسلام. و«الرسالة» اسم من الإرسال بمعنى "السفارة"، فالرسول- على ما في *المختار*[473]- السفير المصلح بين القوم، وفي الشرع: مَن بُعث إلى الخلق لتبليغ الأحكام، والمشهور أن الرسول بنى معه كتاب ولا يشترَط ذلك في النبيّ، فبينهما عموم وخصوص مطلق، وقيل: هما مساويان، وفي هذه الفقرة إشعار باللزوم والإحتياج إلى بعثة الرسل؛ لما تُقرّر في كتب الكلام أن في إرسال الرسل إلى الخلق حكما بالغة ومصالح عظيمة، منها: إزاحة العلل الباطنة، وإزالة الشبه الباطلة ببيان ما قصرت عنه العقول من الأحكام الدينيّة، ومن الأمور الأُخرويّة

---

[468] سورة الإسراء: ٧٩/١٧.

[469] آل عمران: ١٤٤/٣.

[470] حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد، شاعر النبي -صلى الله عليه وسلم- وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام (المتوفى: ٦٧٣/٥٤). انظر: *الشعر والشعراء*، ابن قتيبة، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣، ج ١، ص ٢٩٦-٢٩٨.

[471] وفي النسخة المطبوعة: فدوا.

[472] *ديوان حسان بن ثابت*، شرحه وكتب هوامشه وقدم له: الأستاذ عبدأ مهنّا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٤، ص ٥٤.

[473] *مختار الصحاح*، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى:١٢٦٨/٦٦٦)، المكتبة العصرية-دار النموذجية، بيروت، ١٩٩٩، ص ١٤٨.

والبرزخيّة إلى غير ذلك، ومنها: تكميل النفوس البشريّة بحسب الإستعدادات الفطريّة، فإنها متفاوتة علما وعملا. و«القوانين» جمع "قانون" وهو لفظ سُريانيّ مرادف للأصل والقاعدة، والمراد بها الأحكام الشرعيّة المتعلّقة بأفعال المكلّفين المستنبطة من نصوص القرآن المبين. واعلم أن الأحكام الشرعيّة العمليّة لا تقف عند حدّ لتعلّقها بالحوادثات التي لا تحصر في عدد، فامتنع حفظها لوقت الحاجة، فناطها الشارع بعمومات النصوص ليستنبط منها عند الحاجة، فظهر توقّف ذلك برسالته –عليه السلام–. «والشرع» في الأصل: الإظهار، يقال: شرع لهم كذا، أي: بيّن كذا في *الكشف*[474]، وفي *المختار*[475]: شرع كذا، أي: سَنَّ وبابه "قَطَعَ"، وفي التنزيل: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَى﴾[476]. وبالجملة: أن الشريعة عبارة من كلّ طريق موضوع بوضع إلهيّ ثابت من نبيّ من الأنبياء، وهي والدين والملّة واحدة بالذات ومتغايرة بالاعتبار. وقوله: «والإسلام» بمعنى دين الإسلام، فهو عطف تفسيريّ للشرع أتى به لتكميل السجع والإتمام.

(وَعَلَى آلِهِ الْأَبْرَارِ وَصَحْبِهِ الْأَخْيَارِ) عطف على «صاحب اللواء»، وأتى بكلمة «على» ليفيد نوعا من الاستقلال كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[477]، وردّا للشيعة من أهل الضلال، و«الآل» اسم جمع لا واحد له من لفظه، والمشهور في مثل هذا المقام أن المراد بـ«الآل» أهل بيته –عليه السلام– من الأولاد والأزواج، وهم الآل من جهة النسب، وجاء بمعنى الأتباع وهم الآل من جهة الدين، وفي الحديث: "آلِي كُلُّ مُؤْمِنٍ تَقِيٍّ"[478] ويحتمله المقام، فيكون ذكر «الصَحب»

---

[474] *كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي*، علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري (المتوفى: ١٣٣٠/٧٣٠)، ضبط وتعليق وتخريج: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتب العربي، بيروت، ١٩٩٧، ج ١، ص ٢٦.

[475] *مختار الصحاح*، ص ١٦٣.

[476] سورة شورى: ١٣/٤٢

[477] سورة المنافقين: ٨/٦٣

[478] *كشف الأسرار*، ج ١، ص ٢٩. يرد في بعض كتب الحديث بلفظ: "آل محمد كلّ تقيّ". انظر: *المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة*، شمس الدين أبو الخير السخاوي (المتوفى: ١٤٩٧/٩٠٢)، تحقيق: محمد عثمان الخشب، دار الكتب العربي، بيروت، ١٩٨٥، الباب: ٣، ص ٤٠؛ *فيض القدير شرح الجامع الصغير*، زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي (المتوفى: ١٦٢٢/١٠٣١)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٣٧، ج ١، الباب: ١٥، ص ٥٥

تخصيصا بعد التعميم لقصد المدح والتعظيم مثل: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾[479]، وهذا العطف من خواصّ الواو، فاعرفه. و«الأبرار» جمع "بَرّ" بالفتح، فالتشديد كأرباب جمع "ربّ" بمعنى المحسن الكريم يقال: بَرَّ يَبِرُّ فهو بَارٌّ وَبَرٌّ وبابه "عَضَّ" و"فَرَّ" وأمّا بَرَرَةٌ فجمع "بَارّ" ومنه: ﴿كِرَامًا بَرَرَةً﴾[480]، والبَرّ أبلغ من البارّ كحَذِر وحاذر، يقال: رجل بَرّ، أي: كثير البِرّ والإحسان وهو من الأسماء الحسنى كما قيل:

الله بَرٌّ والأيادي شاهدة[481]

و«الصَحب» جمع "صاحب" كرَكْبٍ وراكب، وقيل: اسم جمع له من "صَحْب، صُحْبة، وصحابة" بمعنى "صحبت كردن" و"باري كردن" وبابه "عَلِمَ"، فالصحابة في الأصل مصدر أطلق على أصحاب الرسول، فهي أخصّ من الأصحاب والصحابيّ في العرف، مَن لقي النبيّ عليه السلام بعد النبوّة في حال حياته يقظة مؤمنا به ومات على ذلك ولو من غير جنس البشر كوفد جنّ النصيبين[482]، ومَن لقيه عليه السلام ليلة الإسراء من الملائكة بناء على أنه عليه السلام مرسل إليهم وعليه **المحقّقون**، وعن البعض: أن الصحابة كانوا عند وفاته عليه السلام ١٢٤٠٠٠ عددا كلّهم أهل الولاية والرواية رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. و«الأخيار» جمع "خير" بتشديد الياء كأجياد جمع "جِيْد" لا جمع "خير" مخفّف "أَخْيَرُ" اسم تفضيل فإنه لا يُثنَّى ولا يُجمَع لكونه في معنى "أَفْعَلُ"، من ثمّ الخير بالمعنى المصدريّ وجدان كلّ شيء كما لأنه اللائقة، فالدعاء به دعاء بكلّ ما فيه صلاح دينيّ أو دنيويّ، وفي

---

479 سورة القدر: ٤/٩٧

480 سورة عبس: ٨٠/١٦

481 *ألفية ابن مالك*، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى:٦٧٢/١٢٧٤)، دار التعاون، ص ١٧؛ *شرح المكودي على ألفية في علمي الصرف والنحو*، أبي زيد عبد الرحمن بن علي صالح المكودي (المتوفى: ٨٠٧/١٤٠٥)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦، ص ٤٥–٤٦.

482 بكسر الباء على صيغة الجمع، اسم بلدة (منه). قال اليعقوبي: هي مدينة عظيمة كثيرة الأنهار والجنّات والبساتين، ولها نهر عظيم يقال له الهرماس عليه قناطر حجارة قديمة روميّة وأهلها قوم من ربيعة من بني تغلب. انظر: *كتاب البلدان*، أحمد بن إسحاق اليعقوبي (المتوفى: ٢٩٢/بعد ٩٠٥)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١، ج ١، ص ٢٠٤؛ معجم *البلدان*، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي (المتوفى: ٦٢٦/١٢٢٩)، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥، ج ٥، ص ٢٨٨–٢٨٩.

هذه الفقرة تلميح إلى قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[483]، وخيريّة الأمّة وشرفهم على حسب شرف نبيّهم، ففيه مدح الأصحاب صراحة ومدحه –عليه السلام– ضمنا وكناية كما لا يخفى.

(وَبَعْدُ) أتى بها إشعارا بالانتقال من أسلوب إلى آخر لايكون بينهما مناسبة، فهي من الإقتضاب القريب من التخلّص[484] على ما في **البديع**، واختُلف في أوّل مَن تكلّم بها، والأقرب أنه داود النبي –عليه السلام– فتكون فصل الخطاب الذي أوتيه. و«الواو» ليست بعاطفة لعدم المناسبة بينهما وعدم الجهة الجامعة؛ بل نائبة عن "أما" المقدَّرة، أي: "أما بعد"، بدليل الفاء في «فيقول»، قال **العصام**[485]: "أما هذه، لمجرد التأكيد، فلا حاجة إلى تكلّف تقدير التفصيل والإجمال"، وقيل: إتيان الفاء لتوّهم "أمّا" بدون تقدير في نظم الكلام، أي: إجراء للمتوّهم مجرى المحقّق، كما في قول **زهير**[486]:

... ولا سابقٍ[487]...

بالجرّ لكن في كلّ مِن التقدير والتوهّم نظر، فلك أن تجعل "الواو" لعطف القصّة أو لتزيين اللفظ؛ إذ الابتداء بالظرف مستقبح عندهم، وكلمة "بعد" من الظروف الزمانيّة أو المكانيّة المنقطعة عن الإضافة مثل: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾[488]، والتقدير: بعد الفراغ عن الحمد والصلاة؛ فلكون

---

[483] سورةآل عمران: ١١٠/٣

[484] *الإيضاح*، ص ٣٨٤.

[485] إبراهيم بن محمد بن عرب شاه الأسفراييني عصام الدين (المتوفى: ١٥٣٨/٩٤٥). انظر: *الأعلام*، الزركلي، ج ١، ص ٦٦

[486] زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني، شاعر جاهلي فحل (المتوفى: ٦٠٩ م). انظر: *الأغاني*، أبو الفرج الأصفهاني (المتوفى: ٩٦٧/٣٥٦)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٢، الطبعة الثالثة، ج ١٠، ص ٢٩٨.

[487] وتمامه:

بَدَا لِي أَنّي لَستُ مُدرِك ما مَضَى وَلَا سَابِق شَيئا إِذَا كَانَ جَائيا (منه).

انظر: شرح *ديوان زهير بن أبي سلمى*، الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب (المتوفى: ٩٠٤/٢٩١)، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٤، ص ٢٨٧.

[488] الروم: ٤/٣٠.

المضاف إليه مَنْوِيّا حذفُه بُنِيت على الضمّ الّذي هو أقوى الحركات وأَوْلى لأن يجبر به ما فات، وقد بسطنا الكلام المتعلّق بهذا المقام في *حاشيتنا على تحفة العوامل الموسومة بدوحة العنادل*[489].

(فَيَقُولُ الْعَبْدُ) أراد به نفسه ولم يقل: فأقول كما هو مقتضى الظاهر دفعا لتوقير النفس والأنانيّة وليتأتّى إجراء الأوصاف الآتية عليه، ففيه التفات[490] من التكلم إلى الغيبة، و"القول" هو التلفّظ بما يفيد فائدة تامّة قاله **البيضاوي**[491]، وعند **الرضي**[492] يُطلَق على كلّ حرف وعلى أكثر منه مفيدا أو لا، وإليه ذهب **ابن مالك**[493]، فعلى الأوّل مقول القول لا يكون إلّا جملة أو ما فيه معنى الجملة مثل قلت قصيدة، وهو المشهور؛ وعلى الثاني يكون مفردا أيضا، وفي التنزيل: ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾[494]، ومقول القول ههنا جملة؛ بل جمل. واعلم أن المقول مفعول به عند **الجمهور** ومفعول مطلق عند **ابن الحاجب**–، والأوّل أصوب، و«العبد» يستعمل على ثلاثة أنحاء:

أ– عبد بالإيجاد وهو: مملوك الله الأعمّ من الحرّ والرقيق،

ب– وعبد بحكم الشرع وهو: الرقيق بمعنى بندهٔ درم خريده،

ج– وعبد بالطاعة وهو: المؤمن الذي يقوم بخدمة مولاه، فالعبادة أشرف الأوصاف، والعبوديّة أكمل المقامات، وكلّ ما سواها من ثمراتها كيف وقد خُيِّر رسول الله ليلة المعراج بين العبوديّة والمحبوبيّة فاختار العبوديّة، فاصطفاه الله تعالى بجميع الكرامات الإنسيّة؛ ولذا قدّم عبده على رسوله في كلمة

---

489 *دوحة العنادل على تحفة العوامل*، ابن الحاج محمد رحمي بن عبد الله الاكيبي الرومي(المتوفى:١٣٢٧/١٩٠٩). انظر: *معجم المؤلفين*، عمر رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، ج ٩، ص ٣٠٧. هذا الكتاب غير مطبوع، وهو حاشية على شرح العوامل البرقوي لمصطفى بن إبراهيم.

490 الإيضاح، ج ١، ص ٢٣.

491 *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٩١/١٢٩٢)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الجزء ١، ص ٤٢.

492 *شرح الرضي على الكافية*، الجزء ١، ص ٢٠.

493 *شرح الكافية الشافية*، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني (المتوفى: ٦٧٢/١٢٧٤)، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، مكة، ١٩٨٢، ج ١، ص ١٥٧.

494 سورة الأنبياء: ٦٠/٢١.

الشهادة، ففي وصف **المصنّف** نفسه بالعبوديّة استرحام من الله واستعطاف باعتراف عبوديّته له كما في قوله:

إلهي عَبدُك العَاصِي أَتَاكا .... [495]

ونعم ما قيل:

لَا تَدَعنِي إلَّا بِيَا عَبدَه [496] فإنَّه أَشرَفُ أَسمائيَّا [497]

(الفَقِيرُ إِلَى اللهِ) «الفقير» إمّا بمعنى كثير الفقر والاحتياج؛ فيكون صيغة مبالغة أو بمعنى دائم الفقر؛ فيكون صفة مشبّهة من "فقر"؛ خاصرتُه إذا كسرتْ عظام صدره، أطلق على المحتاج لانكسار باله، وهو من له أدنى بُلْغَةٍ من العيش والمسكين من لا شيء له، وعن **يونس**: قلت لأعرابيّ: أفقير أنت، قال: لا والله؛ بل مسكين[498]، وقال **نجم الأئمة**: الفقر ثلاثة:

أ– فقر إلى الله فقط،

ب– وإلى الله مع الغير،

ج– وإلى الغير لا غير.

ثمّ في توصيف **المصنّف** نفسه بالفقر تلميح إلى قوله تعالى: ﴿وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾[499].

---

[495] تمامه:

إلهي عَبْدُكَ العَاصِي أَتَاكَا مُقِرًّا بالذُّنُوبِ وَقَدْ دَعَاكَا
فَإِنْ تَغْفِرْ فَأَنْتَ لِذَاكَ أَهْلٌ وَإِنْ تَطْرُدْ فَمَنْ يَرْحَمْ سِوَاكَ.

انظر: *المطول*، ص ٣٧، ٢٨٥.

[496] في النسخة المطبوعة: عبديا.

[497] *غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب*، شمس الدين محمد بن أحمد السفاريني (المتوفى: ١١٨٨/١٧٧٤)، مؤسسة قرطبة، مصر، ١٩٩٣، ج ٢، ص ٤٧٤.

[498] *لسان العرب*، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١/١٣١١)، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣، ج ١٣، ص ٢١٤.

[499] سورة محمد: ٤٧/٣٨.